سمعت افضل من رايت من اهل العلم بالادب والحذق بهذه الصناعه مع تقدمه
في الكلام يقول ان الكلام المنثور يتاتى فيه من الفصاحه والبلاغه ما لا يتاتى في
الشعر لان الشعر يضيق نطاق الكلام ويمنع القول من انتهايه ويصده عن تصرفه على
سننه وحضره من يتقدم في صنعه الكلام فراجعه في ذلك وذكر انه لا يمتنع ان
يكون الشعر ابلغ اذا صادف شروط الفصاحه وابدع اذا تضمن اسباب البلاغه
ويشهد عندي للقول الاخير ان معظم براعه كلام العرب في الشعر ولا يجد في
منثورهم ما يجد في منظومه وان كان قد احدثت البراعه في الرسايل على
حد لم يعهد في سالف ايام العرب ولم تنقل من دواوينهم واخبارهم وهو
وان ضيق نطاق القول فهو يجمع حواشيه ويضم اطرافه ونواحيه فهو اذا تهذب
في بابه ووفي له جميع اسبابه لم يقاربه من كلام الادميين كلام ولم يعارضه من
خطابهم خطاب وقد حكي عن المتنبي انه كان ينظر في
المصحف فدخل اليه بعض اصحابه فانكر نظره فيه لما كان راه عليه من سوء اعتقاد
فقال له هو المكي على فصاحته كان مفحما فان صحت هذه الحكايه عنه في الحاده عرف
بها انه كان يعتقد ان الفصاحه في قول الشعر ابلغ واذا كانت الفصاحه في قول
الشعر اولم تكن وبينا ان نظم القرآن يزيد في فصاحته على كل نظم ويتقدم
في بلاغته على كل قول بما يتضح به الامر اتضاح الشمس ويتبين به بيان الصبح
وقفت على جليه هذا الشان فانظر فيما نعرضه وتصور بفهمك ما تصوره ليقع لك
موقع عظيم شان القرآن وتامل ما نرتبه ينكشف لك الحق واذا اردنا تحقيق ما ضمناه
لك فمن سبيلنا ان نعمد الى قصيده متفق على كبر محلها وصحه نظمها وجوده بلاغتها
ومعانيها واجماعهم على ابداع صاحبها فيها مع كونه من الموصوفين بالتقدم في
الصناعه والمعروفين بالحذق في البراعه فنقفك على مواضع خللها وعلى تفاوت
نظمها وعلى اختلاف فصولها وعلى كثره فضولها وعلى شده تعسفها وبعض
تكلفها وما تجمع من كلام رفيع تقرن بينه وبين كلام وضيع وبين لفظ سوقي
يقرن بلفظ ملوكي وغير ذلك من الوجوه التي نجي بتفصيلها ونبين ترتيبها و
تنزيلها فاما كلام مسيلمة الكذاب وما زعم انه قرآن
فهو اخس من ان نشتغل به واسخف من ان نفكر فيه وانما نقلنا منه طرفا ليتعجب
القاري وليتبصر الناظر فانه على سخافته قد اضل وعلى ركاكته قد ازل و
ميدان الجهل واسع ومن نظر فيما نقلناه عنه وفهم موضع جهله كان جديرا ان
يحمد الله على ما رزقه من فهم واتاه من علم فمما كان يزعم انه نزل عليه من السماء و

الليل

٢٨

الليل الاطخم والذيب الادلم والجذع الازلم ما انتهكت اسيد من محرم وذلك قد ذكر
في خلاف وقع بين قوم اتوه من اصحابه وقال ايضا والليل الدامس
والذيب الهامس ما قطعت اسيد من رطب ولا يابس ٥ وكان يقول والشاء
والوانها واعجبها السود والبانها والشاه السودا واللبن الابيض انه لعجب
محض وقد حرم المذق فما لكم لا تجتمعون ٥ وكان يقول ضفدع بنت ضفدعين
نقي ما تنقين اعلاك في الماء واسفلك في الطين لا الشارب تمنعين ولا الماء
تكدرين لنا نصف الارض ولقريش نصفها ولكن قريشا قوم يعتدون ٥ وكان
يقول والمبذرات زرعا والحاصدات حصدا والذاريات قمحا والطاحنات
طحنا والخابزات خبزا والثاردات ثردا واللاقمات لقما اهالة وسمنا لقد
فضلتم على اهل الوبر وما سبقكم اهل المدر ريفكم فامنعوه والمعتر فاووه والباغي
فناووه وقالت سجاح بنت الحارث ابن عقبان وكانت تنبات فاجتمع مسيلمه معها
فقالت له ما اوحي اليك فقال الم تر كيف فعل ربك بالحبلى اخرج منها نسمه تسعى
بين صفاق وحشى ٥ وقالت فما بعد ذلك قال اوحي الي ان الله خلق النساء افواجا
وجعل الرجال لهن ازواجا فنولج فيهن قعسا ايلاجا ثم نخرجها اذا شينا اخراجا
فينتجن لنا سخالا انتاجا فقالت اشهد انك نبي ٥ ولم تنقل كلما ذكر من سخفه كراهيه
التثقيل ٥ وروي انه سال ابو بكر الصديق رضي الله عنه اقواما قدموا عليه
من بني حنيفه عن هذه الالفاظ فحكوا بعض ما نقلناه فقال ابو بكر سبحان الله و
يحكم ان هذا الكلام لم يخرج عن ال فاين كان يذهب بكم ومعنى قوله لم يخرج عن
ال اي عن ربوبيه ومن كان له عقل لم يشتبه عليه سخف هذا الكلام فنرجع
الان الى ما ضمناه من الكلام على الاشعار المتفق على جودتها وتقدم اصحابها في
صناعتهم ليتبين لك تفاوت انواع الخطاب وتباعد مواقع البلاغه وتستدل
على مواضع البراعه وانت لا تشك في جوده شعر امري القيس ولا ترتاب في براعته
ولا تتوقف في فصاحته وتعلم انه قد ابدع في طرق الشعراء امورا اتبع فيها من
ذكر الديار والوقوف عليها الى ما يتصل بذلك من البديع الذي ابدعه والتشبيه
الذي احدثه والمليح الذي تجد في شعره والتصرف الكثير الذي تصادفه في قوله و
الوجوه التي ينقسم اليها كلامه من صناعه وطبع وسلاسه وعفو ومتانه ورقه
واسباب تحمد وامور تونث وتمدح وقد ترى الادباء اولا يوازنون بشعره فلانا
وفلانا ويضمون اشعارهم الى شعره حتى ربما وازنوا بين شعر من لقيناه وبين
في اشياء لطيفه وامور بديعه وربما فضلوهم عليه او سووا بينهم وبينه او قربوا

Copyright © King Saud University

Created with PDFsharp 1.2.1269-g (www.pdfsharp.com)